المقدِّمـــة

لقداسة البابا، المكرَّم يوحنَّا بولس الثَّاني، مآثرُ كثيرةٌ ومتنوِّعة، منها الاجتماعيَّةُ والسِّياسيَّةُ واللاَّهوتيَّةُ والكنسيَّة، فضلاً عن أنَّه لم يَغفلِ الاهتمامَ بشؤون المكرَّسين، ولاسيَّما الرُّهبان والرَّاهبات.

أستعرضُ في هذا الموضوع، أوَّلاً، العناصرَ الرُّوحيَّةَ الأهمَّ في الإرشاد الرَّسوليِّ والتي من شأنها تحديدُ روحانيَّة المكرَّس بحَسَب فكر يوحنَّا بولس الثَّاني، وأُذكِّر، ثانيًا، بأنَّنا جميعًا طلاَّبُ مدرسة التَّجلِّي، نتعلَّمُ كيف ننتقلُ من التَّأمُّل بالسَّيِّد المسيح إلى التَّشبُّه به؛ ومن ثَمَّ إلى التَّبشير باسمه.

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ لكلِّ مسيحيٍّ أن يَفيدَ من عناصر

الإنسان بحَسَب فكر الله هو خلقٌ جديد (٢ كور ١٧/٥)، وهذه هي هُوِيَّتُه الجديدة، وهو، إذًا، مصيرُ التَّجلِّي نفسُه. الله يدعونا إلى مجده (١ أفسس ١١/٢)، وهو ليس المجدَ الباطل (غلا ٢٥/٥)، ولكن المجد الآتي من الله، المسيح فينا رجاء المجد (كول ٢٦/١). ورجاءُ المجد هذا (روما ٢/٥) يحثُّ جهدَ الإنسان (أفسس ١٨/١) ليصبحَ وارِثًا مجدَ الله.

و. التَّجلِّي والرِّسالة

الرِّسالةُ هي مرحلةُ التَّجلِّي الأخيرة، فبعدَ التَّجلِّي ننزلُ من الجبل إلى الحياة اليوميَّة. والرِّسالةُ هي العودةُ إلى حياة العالم، بشجاعةٍ جديدة، للتَّبشير والشَّهادة.

هناك علاقةٌ كيانيَّةٌ بين الموقف على الجبل، أي الصَّلاة التَّأمُّليَّة، وما سيعقبُ ذلك من عملٍ رسوليّ؛ أي بين الصَّلاة والعمل. فحوى الصَّلاة هو تصميمُ الله، وأمَّا العملُ فهو بناءُ ملكوت الله؛ وبالرَّغم من تلاقيها كتتميمٍ لإرادة الله، يبقى أنَّ الصَّلاةَ تشتركُ في الكيان، وأمَّا العملُ فيبقى عملاً يصدرُ عن الكيان.

أ. نور التَّأمُّل

يدعو الإرشادُ الرَّسوليُّ «الحياة المكرَّسة» المؤسَّساتِ الرَّسوليَّةَ، بوضوحٍ، إلى ممارسة التَّأمُّل؛ إذ إنَّ التَّأمُّلَ عنصرٌ أساسٌ يضمنُ استمرارَ العلاقة بين المكرَّس والله. ويردِّدُ قداسةُ البابا، في هذا الإرشاد، كلمةَ «تأمُّل» و«حياة تأمُّليَّة» ٤٢ مرَّة؛ بينما يُردِّدُ كلمةَ «رسالة» و«إرساليَّة» ٣٢ مرَّة.

ويُشدِّدُ هذا الإرشادُ على فكرة أنْ «لا رسالة من دون تأمُّل»؛ كما يُشدِّدُ على أنَّ حياةَ المكرَّس يجبُ أن تتميَّزَ بالرِّسالة، أي بالتَّبشير، ويجبُ أن تُخترقَ بحياة التَّأمُّل (ح م ٩)؛ إذ إنَّ حقيقة الحياة المكرَّسة وواقعها هما تأمُّلٌ في الثَّالوث الأقدس (ح م ١)، في مسيرةٍ نحو النُّور الذي لا ينتهي (ح م ١٩).

يؤكِّد اللاَّهوتيُّ كارل راهنر: «إنَّ كنيسة الغد إمَّا أن تكون صوفيَّة، أي في علاقةٍ تأمُّليَّةٍ مع الله، أو لا تكون» (ح م ٢٠)؛ «أرى الجمال، أتأمَّل بالبريق، أعكس النُّور». ويقول دوستويفسكي: «الجمالُ سيخلِّصُ العالم». وهذا ما أكَّدَ عليه

ب. التأمُّلُ هو الرُّؤيةُ بالقلب

يقولُ يوحنَّا الدِّمشقيُّ عن الصَّمت أنَّه: «أمُّ الصَّلاة؛ والصَّلاةُ هي إظهارُ المجد الإلهيّ. فحين نُغلقُ أبوابَ حواسِّنا، وحين نجدُ ذواتنا مع ذواتنا ومع الله متحرِّرين ممَّا يحدثُ في العالم الخارجيّ، ندخلُ إلى ذواتنا وعندها نرى هناك ملكوت الله (لوقا ٢١/١٧). هذه الرُّؤية الدَّاخليَّة هي الرُّؤيةُ بعيون القلب، رؤيةُ وجه يسوعَ المتجلِّي، ورؤيةُ نور وجه المسيح في الأوجه المُشوَّهة للنَّاس. وهذا ما عبَّرَ عنه القدِّيسُ إيريناوسُ بالقول إنَّ «مجدَ الله هو الإنسانُ الحيّ، وحياة الإنسان هي رؤيةُ الله».

ج. التَّحوُّلُ إلى موضوع التَّأمُّل

التَّأمُّلُ يُحوِّلُ المُتأمِّلَ ليصبحَ أكثرَ شَبَهًا بِمَن يتأمَّلُ فيه. وهذا ما حصلَ في العهد القديم، إذ تحوَّلَ وجهُ موسى بعد لقائه الله على جبل سيناء (خروج ٣٩/٣٤).

ويقولُ بولُسُ الرَّسول: «نحن جميعًا، إذ ننظرُ مجدَ الرَّبِّ

ويتأمَّلُ المكرَّس، أيضًا، في الابن الذي بنظرته يدعو الأشخاصَ إلى ترك كلِّ شيءٍ والاشتراك معه في عيش المشورات الإنجيليَّة، وإلى التَّشبُّه الكامل به، تابعين إيَّاه كمِثالٍ للكمال (ح م ١٨).

كما يتأمَّلُ المكرَّسُ بالرُّوح القُدُس، في صورة الغَيمة المنيرة، الرُّوحِ الذي يُفيضُ على المكرَّس الرَّغبةَ في التَّجاوب مع الدَّعوة. والرُّوحُ عينُه هو الذي يُصوِّرُ نفوسَ المكرَّسين، في مسيرةٍ متواصلةٍ من التَّنقية، على مثال المسيح العفيف والفقير والمطيع؛ وهو الذي يجعلُهم أكثرَ شَبَهًا بمعلِّمهم (ح م ١٩).

يُمثِّلُ التَّأمُّلُ في إيقونة التَّجلِّي استباقًا لحقيقة القيامة، كما أنَّ التَّكرُّسَ هو استباقٌ للدَّهر الآتي في ملكوت الله.

إنَّ إيقونة التَّجلِّي هي دعوةٌ صريحةٌ إلى الكنيسة كلِّها، وبخاصَّةٍ إلى أولئك المدعوِّين إلى الحياة المكرَّسة، لكي يتأمَّلوا وجهَ السَّيِّد المتجلِّي؛ دعوةٌ إلى أن يقومَ كلُّ مكرَّسٍ بتأمُّل النُّور الذي يصدرُ عن وجه السَّيِّد، قائلاً مع بطرس الرَّسول: «كم هو حَسنٌ أن أقيمَ معك»، كم هو حَسنٌ

هو العنصرُ التَّأسيسيُّ الأوَّلُ للرِّسالة (ح م ١٧). ويقول: «عندما تنحني المحبَّة بحنوٍّ لتعتنيَ بحاجات القريب الأكثر مادِّيَّة، عندها ترتفعُ إلى الجبال العالية. عند ذاك تطيرُ بقوَّةٍ إلى القمم السَّامية» (ح م ٨٢).

المكرَّسُ المُرسَلُ هو على مِثال يسوعَ الذي كرَّسَه الآبُ وأرسلَه إلى العالم (يوحنَّا ٣٦/١).

تتأسَّسُ الرُّوحانيَّةُ الرَّسوليَّةُ على القناعة الرُّوحيَّة أي «قبلَ أن تتجسَّدَ الرِّسالةُ في أفعالٍ خارجيَّةٍ تقومُ على أن نجعلَ يسوعَ حاضرًا للعالم بالشَّهادة الشَّخصيَّة (ح م ٧٢). ويقدِّمُ لنا الإرشادُ مبدأين ينظِّمان العملَ الرَّسوليَّ انطلاقًا من وَحدة التَّأمُّل والرِّسالة، ولاسيَّما في حالة الرّهبانيَّات المُرسَلَة؛ المبدأ الأوَّل: أن نرى الله في كلِّ الأشياء، وكلَّ الأشياء في الله» (ح م ٧٤)؛ والمبدأ الثَّاني يشبهُه: «يجبُ أن نثقَ بالله كما لو كانَ كلُّ شيءٍ مُعتَمِدًا عليه، وأن نعملَ كما لو كانَ كلُّ شيءٍ مُعتَمِدًا علينا» (ح م ٧٣).

ويُقدِّمون إسهامَهم الجزيل في التَّجلِّي الحاصل لعالَم اليوم (ح م ١١٠).

بتأمُّلِ المكرَّس في جمال وجه المسيح المتجلِّي يغدو أكثرَ جذبًا للآخرين، بحيث يتوقون بدورهم، ومن خلاله، إلى رؤية الجمال الإلهيّ (ح م ٢٠).

يقولُ القدِّيسُ يوحنَّا الذَّهبيُّ الفم، في إطار حديثه عن معنى التَّجلِّي: «سَمحَ اللّه لبعضٍ من النُّور أن يَشعَّ منه كما حَسُنَ له». كما يستعملُ القدِّيسُ تعبيرَ الـ «تجلِّي» ليدلَّ إلى المكرَّس الذي يعكسُ للآخرين نورَ اللّه.

يتأمَّلُ المكرَّسُ جمالَ وجه الرَّبِّ المتجلِّي، فيقوى إيمانُه، ويفهم، بالتَّالي، غيابَ هذا الجمال عن الرَّبِّ وهو على الصَّليب (ح م ١٥).

ولا عجبَ من ذلك، فالمكرَّسُ العاشقُ المسيحَ منجذبٌ دومًا إلى جماله، كما يؤكِّدُ القدِّيسُ أغوسطينوس: «اللّه جميلٌ، جميلةٌ كلمتُه، جميلٌ في المعجزات، جميلٌ في العذابات، جميلٌ في القيام من بين الأموات، جميلٌ في

وَرَدَ في الإرشاد الرَّسوليِّ «الحياة المكرَّسة» أنَّه: «لكي نصبحَ على مِثال المسيح قربانةً وذبيحة، لا بدَّ من ذلك الرِّباط وتلك العلاقة الشَّخصيَّة، وبخاصَّةٍ مع المسيح، الذي ينطلقُ من التَّأمُّل والمعرفة إلى الحبِّ والتَّشبُّه الكامل بالمسيح على قاعدة ذلك الحبِّ وذلك النُّور» (ح م ٣٧).

هـ. حياةُ الشَّرِكَة والجَماعة

من أوجه الجِدَّة التي يُقدِّمُها هذا الإرشاد، جَمعُه بين الشَّرِكَة مع الله ومع الجَماعة. إنَّ حياةَ الشَّراكة هي في الجَماعةِ الكَنَسيَّة كلِّها، وحياةُ الجَماعة هي صفةُ الحياة الرّهبانيَّة. إستلهامًا لإيقونة التَّجلِّي، وتحت ضوء سرِّ الثَّالوث الأقدس، تعلو قِيَمُ الحياة الجَماعيَّة، ومعها بعضُ سلوكيَّات العيش في الشَّرِكَة.

ينعكسُ الحبُّ الثَّالوثيُّ في التزامنا عيشَ وصيَّة المسيح الجديدة، محبِّين بعضُنا البعضَ الآخَر، كما أحبَّنا هو. الفصلُ الثاني من الإرشاد الرَّسوليِّ «الحياة المكرَّسة» مخَصَّصٌ بكُلِّيَّته

حول أنَّ المكرَّسين المدعوِّين إلى الشَّهادة للمسيح المتجلِّي «يجبُ أن يكونوا بذاتهم كياناتٍ مُتجلِّيةً» (ح م ٣٥).

هذا الكيانُ المتجلِّي يستوجِبُ عطاءً كاملاً للذَّات، ويتطلَّبُ التَّخلِّي عن الحقوق والخيور، وتقبُّل سرِّ المسيح (ح م ١٦)؛ كما أنَّه يفترضُ علاقةً شخصيَّةً وحميمةً مع الرَّبّ، في تلبيةٍ يوميَّةٍ لدعوة الآب، وفي الإصغاء إلى يسوع المسيح، والوثوق به وجعله في محور الحياة (ح م ١٦)، فيسوعُ «هو ابن الله الحبيب الذي يجبُ أن نسمعَه» (متَّى ١٧/٥).

وعليه، فعلى المكرَّس الإصغاءُ إلى كلمة الرَّبّ، والتَّأمُّلُ في وجهه المنير، والتَّطلُّعُ إلى مُحيَّاه الجميل؛ وبذلك يُحمَلُ على الاقتداء به وعلى اتِّباعِه. إنَّ الدَّرسَ اللاَّهوتيَّ والرُّوحانيَّ العميقَ لايقونة التَّجلِّي يُقدِّمُ لمكرَّسي اليوم غنًى لروحانيَّتهم الخاصَّة، ولاسيَّما بالمفهوم الجديد «الوجود المتجلِّي» الذي هو مبدأُ تجديدٍ دائم، ومبدأُ فحصٍ للضَّمير، وتقويمٍ للمَسار. وخلاصةُ القول إنَّ رابطًا وثيقًا يجمعُ بين التَّأمُّل والتَّجلِّي والتَّكرُّس.

– **التَّأمُّلُ طريقٌ نحو التَّألُّه:** التَّشبُّهُ بالمسيح يعني التَّألُّهَ، وهذا ما تُحدثُه الأسرارُ في المسيحيّ. والحياةُ المكرَّسة، وهي أسراريَّة، تسعى للشَّركَة الكاملة مع الله، وفيها يَغدو المكرَّسُ بكُلِّيَّته لله، أي مُؤلَّهًا. إنَّه تجلِّي الطَّبيعة البشريَّة، عبر القدرات الإلهيَّة، بوساطة عمل الرُّوح القُدُس المؤلِّه؛ إنَّه آدم الجديد الذي يُحقِّقُ نفسَه في إنسانيَّة المسيح المتجلِّية.

وكما أنَّ العِمادَ المقدَّسَ هو بدءُ العمل الإلهيِّ في الطَّبيعة البشريَّة، وكما أنَّ الميرونَ يعملُ على إنتاج ثمر القُدُرات الإلهيَّة وتطويرها في الطَّبيعة البشريَّة، وكما أنَّ الإفخارستيَّا هي كمالُ الشَّركَة مع الله، كذلك فإنَّ التَّأمُّلَ هو التَّمرينُ الأكثرُ رُقيًّا وتطوُّرًا للذَّكاء والفكر الإنسانيِّ ليتعرَّفَ على الله اللاَّمتناهي الذي هو أعلى من قدرات الإنسان ومعرفته. لقد خلقَ اللهُ الفكرَ والذَّكاءَ لكي يعرفَ الإنسانُ حقيقةً أساسيَّةً، حقيقةَ أنَّه يستطيعُ أن يتألَّه.

خُلقَ الإنسانُ على صورة الله، ولاسيَّما في الذَّكاء والفكر؛ ويغدو على مثال الله عندما يستعملُ هذا الذَّكاءَ

«المساهمة الأساسيَّة التي يُقدِّمُها المكرَّسون لعمل التَّبشير في هذا العالم هي الشَّهادة، شهادةُ الحياةِ المُعطاة كلِّها للرَّبِّ وللإخوة، تشبُّهًا بالمخلِّص» (ح م ٧٦).

والاقتداءُ المذكورُ يُضحي، أحيانًا، دعوةً إلى اتِّباع السَّيِّد بحَسَب المشورات الإنجيليَّة: «إنَّ هذا الوجودَ المشابهَ للمسيح والموجَّهَ كدعوةٍ إلى المعمَّدين على مدى التَّاريخ، لا يصبحُ ممكنًا إلاَّ بدعوةٍ خاصَّةٍ وبعَطِيَّةٍ خاصَّةٍ من الرُّوح القدس. وبهذه الدَّعوة يرتفعُ مستوى التَّكرُّس بالمعموديَّة إلى مستوى الجواب الكامل الجذريّ، جواب الـ «نَعَم» التي تتقبَّل المشورات بالعمق» (ح م ١٤).

إنَّ وجودَ المكرَّسين في زمننا الحاضر ضروريٌّ جدًّا لأنَّه «في عالمنا الحاليِّ تَضيعُ ظاهريًّا آثارُ الله، وتعظمُ الحاجةُ إلى شهادةٍ نَبويَّةٍ قويَّةٍ من قِبَل المكرَّسين. إنَّها تهدفُ أوَّلاً إلى تأكيد أولويَّة الله والخيور الرُّوحيَّة، وهي تُستشفُّ وتصدرُ عن اتِّباع واقتداء يسوع العفيف والفقير والمطيع» (ح م ٨٥).

– **اتِّباع**: إنَّ اتِّباعَ يسوعَ هو الشَّهادةُ الفضلى على أنَّه

العالم، كذلك أولئك الذين يدعوهم الله إلى اتِّباعه هُمُ مُكرَّسون ومُرسَلون إلى العالم للاقتداء به ولمواصلة رسالته.

إنَّ تقديمَ المشوراتِ الإنجيليَّةِ كتجرُّدٍ عن رغبات السُّلطة، والمتعة والملكيَّة، ليس سوى المفهوم السَّلبيِّ للحياة المكرَّسة؛ وأمَّا المفهومُ الإيجابيُّ فهو بذلُ الذَّات للتَّشبُّه أكثرَ بيسوعَ المسيح. وأمَّا التَّعابيرُ عن هذا المفهوم فيَ الإرشاد الرَّسوليِّ فهي «القِرانُ الرُّوحيّ، والعروسُ والعريس، والحُبُّ العُذريُّ الذي يُسهمُ في نموٍّ وولادة الحياة الإلهيَّة في القلوب» (ح م ٣٤). وأمَّا مفهومُ التَّخلِّي عن الذَّات وبذلها فَعُبِّرَ عنه بكلماتٍ مِن مِثل «القربان» و«الذَّبيحة» النابعَين من الحُبِّ القائم بين المدعوِّ إلى التَّكرُّس والله: «إنَّ هُويَّةَ المكرَّس، انطلاقًا من كمال تضحيته، تُشبهُ الذَّبيحةَ الحقيقيَّة» (ح م ١٧).

ج. تضحيةٌ

يصفُ الإرشادُ تضحيةَ المكرَّسين بالقول: «إنَّ وفاءَهم للحبِّ الأوحد يَظهرُ ويَتجسَّدُ في تواضع حياةٍ خَفيَّة، بالتَّقبُّل والألم، بالتَّضحية الصَّامتة، بالاتِّكال على إرادة الله القدُّوسة»